

□ □ □ □ □ □ □ □

التزكية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مقدمة :

في ظل طغيان المادة و المدنية الزائفة ومع الإخلاق إلى الأرض لإشباع الشهوات والغرائز وانتشار الخواء الروحي بشكل رهيب حيث أهمل الكثير من المسلمين اليوم أمر تزكية نفوسهم وتطهيرها من الأمراض والرزائل واعتنوا بالمظاهر والأشكال ونسوا أنهم يفتنون لأمة ذات رسالة مهمتها دعوة الناس للإسلام وإفادهم من النار وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الأديان إلى سعة الإسلام وبإلها من أمانة ثقيلة لا يقوم بها على أكل وجه إلا أقوام جاهدوا أنفسهم وانتصروا عليها وعملوا على تزكيتها لترتقي إلى مراتب المتقين والصالحين المصلحين. ونظراً لأهمية الموضوع سنتطرق بتوفيق الله وعونه في هذا المقام إلى تعريف تزكية النفس ومكانتها وأهميتها وضرورتها وبعض وسائلها.

تعريف التزكية :

هي تطهير من رذائل الأقوال والأعمال والنيات والعادات وإصلاح للمحاسن والفضائل وتكثيرها وهي وسيلة الرضوان والاستقامة والجنة وهي تخلية وتخلية

مكانة التزكية وأهميتها :

هي أولاً ركن من أركان الدين وقد جعلها الله مهمة من مهام النبي ﷺ وجعل الله الفلاح في فعلها والخيبة والخسران في إهمالها ((قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)) وأهمية التزكية ومكانتها كان النبي ﷺ يدعو ويقول : " اللهم آتي نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها".

ضرورة التزكية :

تزكية النفس ضرورة ومهمة لأي إنسان مسلم مهما كان لاسيما المجاهدين والمصلحين والعلماء والدعاة وهي ضرورة كذلك للنجاة من المصائب والفتن والخروج من الازمات والهموم وللمرزق وقوة الجسد وراحته وللألفة مع الخلائق وللمساعدة والطمأنينة والانس والمشرف والذكر العظيم وللثبات.....

وسائل التزكية :

للتزكية وسائل كثيرة ومتعددة وفي هذا المقام نكتفي بذكر بعضها أولها الذكر ثم الصحبة الصالحة والفرائض والنوافل ثم الدعاء وبإلها بذل الجهد والهمة العالية ثم العلم والترغيب والترهيب

(1) ذكر الله :

يقبى الذكر مكانة عظيمة في أعمال الإسلام يقول الله عز وجل ((والذكر الله أكبر)) وهو أفضل الأعمال قال رسول الله ﷺ : "ألا أخبركم بخير عملكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إيقاق الذهب والفضة وخير من أن تلقوا العدو فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله."

ولذكر درجات أعلاه ما يكون بالقلب واللسان معا ثم يليه ما يكون بالقلب وحده ودناه ما يكون باللسان وحده ورجو أن لا نزه في هذا الأخير ومن أهم فوائد الذكر أنه يحلو قسوة القلب وقد رجل للحسن البصري وقال له : يا أباسعيد أشكو إليك قسوة قلبي فقال له: أذبه بالذكر.

وبالذَرَّ يحيى القلب وكان أحد الصالحين يقول: حياة القلوب في ذَرَّ الحى الذى لا يموت
-وفضل الذَرَّ كلمة التوحيد لا إله إلا الله يقول ﷺ: "جددوا إيمانكم قيل: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: أكثروا
من قول لا إله إلا الله

- ومن الذَرَّ تلاوة القرآن حق تلاوتها بشروطها وآدابها والاستماع إليه قال تعالى ((واذاتليت عليهم آياته زادتهم إيماناً))
ويقول ﷺ: "إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقليل يارسول الله وماجلأوها؟ فقال: تلاوة القرآن وذَرَّ الموت"

- الصلاة على النبي ﷺ

وهي وسيلة من وسائل التزينة وترقيق القلوب فضلاً عما فيها من ربط متجدد للمسلم بنبيه ﷺ حيث يقول: "صلوا عليّ فإنها زكاة
لكم" أي طهارة لكم من الذنوب لأنها مشتملة على ذَرَّ الله وتعظيم رسول الله ﷺ والتقرب لله بامتثال أمره ((يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه وسلموا تسلياً))

(2) الصبغة الصالحة:

للصديق تأثير بالغ في صديقه فقد يذَرَّ بالله أو يضل وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: "المر على دين خليله فلينظر أحدكم من
يخالل" معايشة الصالحين وقراءة أخبارهم والاستماع إليهم في القرآن أمر الله بنبيه ﷺ وهو المؤيد من الله بالوحي بالصبر مع
الصالحين حيث قال في سورة الكهف ((واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)) وهذا سيدنا موسى
عليه السلام يدعو الله أن يشد عضده ويزره بأخيه هارون عليه السلام ولماذا ياترى؟ ((كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً)).
وفي السنة المطهرة يقول ﷺ: "من يرد الله به خيراً يبده خليلاً صالحاً إن نسي ذكره، وإن ذَرَّ أعانه".

وقد تكون سيرتهم ترفيقاً للقلوب وتزهيداً في الدنيا فقد روى البخاري بسنده (أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى
بطعام - وكان صائماً - فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في برده إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه
بدا رأسه وراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا
أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام)
من أقوال الصحابة والسلف الصالح:

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول للرجل من إخوانه: "إجلس بنا نؤمن ساعة، فيجلسان فيذتران الله تعالى ويحمدانه".
وقال إبراهيم الخواص: دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة
الصالحين".

(3) الفرائض والنوافل:

الاهتمام بالفرائض لأنها أحب القربات إلى الله تعالى حيث يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه "من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب
وماتقرب إلي عبدي يمشي أحب إلي مما افترضته....."

والصلاة من أهم الفرائض التي يجب ألاهتمام بها ويجب الحرص عليها في جماعة وقد روي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن
النبي ﷺ أنه قال: "ما من إمري تخضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب
مالم يأتي كبيرة وذلك الدهر كله"

أما النوافل فهي دليل على شغف العبد بدوام الاتصال بالله فهو لا يكتفي بالفرائض "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
فإذا أحببتك سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"

(4) الدعاء :

" الدعاء هو العبادة" كما قال النبي ﷺ وهو انكسار وانطراح من العبد بين يدي مولاه واعتراف بالعجز والفقر وتبرؤ من حوله وقوته واعتراف بحول الله وقوته وقدرته وانعامه . وهو مطلوب في كل وقت ولكل حاجة والوصول للترزية لا يتم إلا بفضل الله ((ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم)). وهذا الفضل يستلهم بالدعاء والالحاح فيه ويجب ألا يغتر المسلم بعمله لذلك كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: "اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها". ويقول ﷺ: "إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم".

(5) بذل الجهد والهمة العالية :

الدعاء لا يكفي وحده بل لابد للترزية من بذل الجهد والهمة العالية حيث يقول تعالى ((إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)) من خلال الآية نفهم أن الانبياء والصالحين كانوا يبذلون الجهد و يعملون بل يسارعون إلى الاعمال الصالحة ولا ينسون الدعاء يسألون الله بخشوع العون والتوفيق والاحلاص والقبول. ولما سأل ربيعة بن كعب الاسلمي رسول الله ﷺ مرافقته في الجنة قال له: "إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود" ويقول إبراهيم بن أدهم: إذا اردت أن تقترب من درجة الصالحين فأغلق باب الراحة وافتح باب الجهد واغلق باب النوم وافتح باب السهر واغلق باب الامل وتأهب للموت. ولما سئل الامام أحمد رحمه الله - متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة. روي أن الربيع بن خيثم أصيب بالفالج (شلل نصفي طولي) فكان يذهب للمسجد يهادي بين رجلين ويقول: أعلم أن الله يرخص لي بترك الجماعة في المسجد ولكني أسمع المؤذن ينادي: حي على الفلاح، وجدير بمن نودي للفلاح أن يجيب ولو زحفا ولو حبوا.

(6) العلم :

العلم ضروري لصحة العمل وهو بفضل الله عصمة من الزيغ والانحراف عن الجادة به يعرف الانسان ربه وما يوصل إليهما يجب عنه ويعرف رسوله صلى الله عليه وسلم ودينه ويعرف حقيقة الحياة والموت والدينا والآخرة وحقيقة نفسه وما حوله وهنا كان العلم بأدابه وشروطه من وسائل التزينة المهمة ويكفي أن الله تعالى قضى بأن العلماء هم أشد الناس خشية له سبحانه فقال: ((إنما يخشى الله من عباده العلماء)). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض. حتى الحيتان في الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. أن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما. إنما ورثوا العلم. فمن أخذه، أخذ بحظ وافر)) ويقول ابن القيم: {فالعلم بالحق العامل به هو المنعم عليه وهو الذي زكى نفسه بأعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلاح}. ((قد أفلح من زكاها)) ويقول أيضا: {مذاكرته تسبيح والبحث عنه حماد وطلبه قرينة وبذله صدقة ومدارسته تعدل بالصيام والقيام} ويقول ميمون بن مهران : العلماء هم ضالتي في كل بلد ولقد وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

(7) الترغيب والترهيب والرجاء والخوف :

من أثر الترغيب والترهيب أنها يدفعان إلى عبادة الله بالليل ((أمن هو قانت آماء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه)) كما يدفعان إلى عمارة المساجد وداء الفرائض ((في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لاتلهمم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله)).

والخوف من أهوال القيامة لابد من أن ينغص اللذات ويصنع الحياة بالجد والإعداد ليوم الرحيل يقول صلى الله عليه وسلم: "يُف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ" ويقول أيضا: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولا يكتفون كثيرا" وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: شجع يحيى بن زكرياء عليها السلام من خبز الشعير فنام عن ورده حتى أصبح، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري، أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري؟ فوعزني وجلالي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا لو اطلعت إلى جحيم اطلعة لذاب شحمك وبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح.

وقال بعض العلماء: إذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار ورجاء هذه والهرب من هذه، فترت عزائمه وضعفت همته ووهى باعته وكلما كان أشد طلبا للجنة وعملا لها كان الباعث له أقوى والهمة أشد والسعي أتم.

(8) غرض البصر:

قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن....)

قال صلى الله عليه وسلم: "النظرة سهم من سهام إبليس، من تركها مخافة الله أعطاه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه "

وذثر ابن القيم رحمه الله تعالى من منافع غرض البصر:

"أنه إمتثال لأمر الله الذي هو سعادة العبد في الدنيا والآخرة وأنه يورث القلب أنسا بالله.... فإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته، ويبعده عن الله وليس على القلب شيء أضر من إطلاق البصر فإنه يورث الوحشة بين العبد وبين ربه، وأنه يقوى القلب ويفرجه، ويلبسه نورا، ولهذا ذثر الله سبحانه آية النور عقب الأمر بغض البصر، وأنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب ويفرغ القلب للتفكير في مصالحه والاشتغال بها....."

منافع غرض البصر:

إمتثال أمر الله الذي هو سعادة العبد في الدنيا والآخرة

يورث القلب الأنس بالله

يقوى القلب ويفرجه، ويلبسه نورا

يسد على الشيطان مدخله إلى القلب

يفرغ القلب للتفكير في مصالحه والاشتغال بها

مضار عدم غرض البصر:

مخالفة أمر الله بغض البصر وفي هذا تعاسة العبد وشقاؤه في الدنيا والآخرة

انه يفرق القلب ويشتته

ويبعد القلب عن الله

إنه يورث الوحشة بين العبد وبين ربه

هذه بعض وسائل التزينة وليست كلها أردت بذلك تذكير نفسي أولا وكل من يقرأ هذا الكلمات أسأل الله الاخلاص والقبول وماكان فيها من صواب فهو من الله سبحانه وماكان فيها من خطأ فهو من نفسي والشيطان وأستغفر الله.